تمثل الزمن وتمثيله في رواية "لا تنس ما تقول" لشعيب حليفي:

مقاربة تداولية معرفية.

time and its representation in the novel “Don't Forget What You Say” by Shuaib Halifi: Towards a deliberative approach.

المصطفى فاتح

باحث بمختبر "ديداكتيك اللغات والترجمة والثقافة"

كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة.

Fat.mustapha2020@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2021/02/08	2021/04/29	2021/06/01

الملخص:

تربط الإنسان بالزمن علاقة صراع دائم ومتجدد؛ علاقة لا تنتهي إلا بانتصار الزمن على الإنسان وسحقه، لأنه يمارس سطوته عليه مادام خاضعا له. فلا حقيقة إلا حقيقة الزمن ولا سلطة إلا سلطة الزمن. هذه الفكرة شغلت كثيرا من المفكرين والباحثين والمبدعين الذين حاولوا معالجتها من زوايا مختلفة. سننطلق في هذه الدراسة من هذه الفكرة لتتبع الزمن الروائي في رواية "لاتنس ما تقول" لشعيب حليفي مستحضرين الزمن النفسي والفلسفي لاستخلاص رؤية الكاتب الفكرية وتمثله وتمثيله لبنية الزمن، مستندين إلى مقاربة معرفية تنشد بلوغ انسجام الخطاب الروائي، بغية استجلاء الزمن النحوي أي الزمن في علاقته بسياق الخطاب الروائي.

الكلمات المفاتيح: الزمن-التخييل-التداولية –التمثل-التمثيل.

Summary:
Man is bound with time by a relationship of permanent and renewed conflict; A relationship that does not end except with the victory of time over man and his crushing, because he exercises his power over him as long as he is subject to him. There is no truth but the reality of time, and no authority but the authority of time. This idea occupied many thinkers, researchers and creative people who tried to treat it from different angles. We will proceed in this study from this idea to trace the fictional time in the novel "Don't Forget What You Say" by Shuaib Halifi, invoking the psychological and philosophical time to extract the writer's intellectual vision and his / her representation of the structure of time, based on a cognitive approach seeking to achieve harmony in the narrative discourse, in order to elucidate the syntactic time, which is the time in Its relationship to the context of the narrative discourse.
Key words: time - fiction - deliberative - representativeness - representation

مقدمة:

تعمد كثير من الروائيين التغاضي عن تسمية المكان الذي تدور فوقه الأحداث وذلك لجعل أحداث القصة التخييلية قابلة لاستيعاب أي مكان؛ بمعنى أن تلك الأحداث يمكن تخيل وقوعها في كل مكان، من ذلك مثلا رواية "محاولة عيش" لمحمد زفزاف الذي وصف فيها الهامش ومعاناة إنسان الهامش. لكن هل يمكن تخيل رواية بدون زمن؟

يستحيل خلق نص سردي تخييلي منفصل عن الزمن، لأن الزمن حسب جيرار جينيت عنصر مهم في تحديد المحفل السردي، فالنص السردي يحكى إما في الماضي وإما في الحاضر وإما في المستقبل[1]، يتعلق الأمر هنا بزمن السرد الذي سننطرق لبعض تقنياته بغية استجلاء الزمن النحوي أي الزمن في علاقته بسياق الخطاب الروائي، لمقاربة إشكالية الزمن وصراع الإنسان معه بغية الإجابة عن الإشكالية التالية: كيف يساهم تخطيب زمن الخطاب الروائي في جعل مفهوم الزمن وظيفيا؛ أي تعبيرا عن موقف وجودي ورؤية فكرية لكاتب الرواية، وفي التعبير عن قصديته الرامية إلى خلخلة تصور مفهوم المتلقي للزمن عبر تمثيله بواسطة اللغة بإكسابها وظيفة معرفية.

ونقصد بمفهومي تمثل الكاتب وتمثيله لبنية الزمن؛ مجموعة المعارف والاعتقادات المخزنة في ذاكرته (التمثل) وكيفية استرجاعها ومعالجتها معالجة ذهنية (التمثيل)[2] من خلال جعله

الزمن الروائي اللبنة الأساس في تخطيب النص الروائي وفق قصديته، مستندين إلى مقاربة معرفية تنشد بلوغ انسجام الخطاب الروائي باعتماد التأويل المعرفي للخطاب الذي "ينزع إلى تفصيل الفرضيات التأويلية الموضعية التي تدعم انسجام مجموع الخطاب"[3]، وهذا لن يتأتى إلا باستحضار السياق ومقام التخاطب ومقاصد المتكلمين...

1-في الفرق بين الزمان والزمن:

تتناول هذه الدراسة الحديث عن الزمن والزمان، بوصفهما مفهومين اثنين وليس مفهوما واحدا كما يخلط بين ذلك كثيرون حيث يوظفونهم وفق مفهوم واحد؛ إذ يعد "الزمان كمية رياضية من كميات التوقيت تقاس بأطوال معينة كالثواني والدقائق والساعات والليل والنهار والأيام والشهور والسنين والقرون والدهور والحقب والعصور فلا يدخل في تحديد معنى الصيغ المفردة ولا في تحديد معنى الصيغ في السياق ولا يرتبط بالحدث كما يرتبط الزمن النحوي، إذ يعتبر الزمن النحوي جزءا من معنى الفعل"[4]، يؤشر هذا المناص على ارتباط الزمن النحوي بسياق التخاطب وهو ما يقربه من المقاربة التداولية المعرفية التي تتأسس على جملة من المفاهيم الإجرائية التي تسعف في مقاربة خطاب التخييل-بعدما ارتبطت مع فلسفة اللغة بلغة الحياة اليومية العادية- والسياق واحد من هذه المفاهيم الأساسية.

نسعى من خلال هذا البحث العناية بمفهوم الزمن في الرواية من وجهة نظر دلالية معتمدين مقاربة تداولية معرفية من أجل كشف الأبعاد الدلالية للزمن، متجاوزين المقاربة الشكلانية التي اهتمت بزمن الخطاب في جانب تقني أكثر مما هو دلالي، ولا يعني هذا أننا سنشطب في مقاربتنا هاته زمن الخطاب وزمن القصة، بل سننطلق منهما للوصول إلى الزمن الدلالي، سيما أن البعد الزمني أصبح لصيقا بمختلف عناصر التخاطب، ومنها "وعي الفاعل والمتلفظ، وقد اصطلح على هذا التصور بتذويت المنظور الزمني"[5]، وهو ما أسهم في توضيح خصوصية الزمن و"تفسير استعمال الأزمنة والتباسها الدلالي في سياق السرد"[6]. يحسب للمقاربة التداولية منح الزمن خصوصية دلالية لأن السرد الذي يتم في أزمنة مفارقة لزمن القصة يتشكل عبر أوعاء

موجهة تخلق بدورها توجيها لجماع الأحداث والوقائع، وشحن ذهن المتلقي بمعلومات ومعارف مختلفة تتأطر في أزمنة متباعدة مما يجعله يعمل جاهدا على تنظيمها وإعادة إنتاجها قصد فهمها، ووضع اليد على مقاصدها التواصلية من خلال تجميع مختلف الأزمنة ذهنيا ومنحها انسجاما يمكنه من استيعابها وتبين مقاصدها.

2-الزمن من منظور تداولي معرفي:

هذا الطرح يجد تناغما في المقاربة التداولية التي تركز على السياق الذي ينطلق من الكلام في وحدته الكلية؛ لـ"وصف خصائص العبارات اللغوية وتفسيرها وربطها بسياقات إنتاجها وبالأغراض التواصلية التي تسعى الوصول إليها"[7]، وهو ما يؤشر على ربط الزمن، في أبعاده المختلفة، بسياق الخطاب الروائي والظروف المحيطة بإنتاجه لتفكيك خطابه "انطلاقا من التركيز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد في فترة أو فترات زمنية معلومة"[8] لاستجلاء دلالة النص الخفية بشكل منطقي وموضوعي، وهو ما يحتم على المتلقي "التمييز بين المستوى الدلالي؛ أي المحتوى القضوي (le contenu propositionnel) الذي ينقله الملفوظ، وبين المستوى التداولي؛ أي المعنى الذي يُضاف إلى الملفوظ في فعل إنتاج الكلام من خلال مراعاة مقصدية المتكلم وسياق التلفظ، هو تمييز منطقي ومفيد للفهم"[9]، ينبهنا هذا المناص إلى أن خطاب التخييل في المقاربة التداولية المعرفية بوصفه خطابا مجازيا غير مباشر، يتوسل بآليات يزرعها الكاتب في نصه قصد توجيه المتلقي إلى إدراك أبعاده الضمنية ورسائله المعرفية، وهذا ما يجعل من المقاربة التداولية المعرفية مقاربة متميزة لخطاب التخييل؛ لأنها تستحضر بعده التواصلي والمعرفي متجاوزة بذلك المقاربة الشكلانية التي أقصت سياق النص ونحَّتْ مؤلفه جانبا، فلا يمكن، في نظرنا، ألا يقول هذا المؤلف شيئا لدرجة قتله بالمرة كما فعل البنيويون.

3-التداولية المعرفية والزمن:

يفترض التحليل التداولي للخطاب الزمني اشتغال أزمنة الأفعال "مثل العبارات الإجرائية التي تقدم معلومات حول كيفية معالجة تمثيلات الأحداث التي أصبح نفادنا إليها ممكنا عبر العبارات التصورية التي يقدمها المدخل المعجمي للمفهوم"[10]، علاوة على أخذه بعين الاعتبار التفاعل بين المعلومات اللسانية والمعلومات السياقية ومعارف المتلقي المتنوعة، والتي يسمح تآلفها كاملة باستجلاء دلالة الخطاب التخييلي الضمنية. ومعلوم أن التداولية المعرفية، بالشكل الذي تبلورت به مع "ويلسون" و"سبيربر"، اهتمت بمقاربة خطاب التخييل بناء على مفاهيم إجرائية، من قبيل: المقصدية، السياق، الملاءمة، الاستدلال... وهي مفاهيم استطاعت أن تبرز دلالة النص الخفية وقصد المتكلم من خلال جعل النص مرتبطا بمؤلفه وسياقه الشيء الذي منح خطاب التخييل قيمة معرفية وتواصلية، حيث يقدم العمل الروائي التخييلي خبرات وتجارب إنسانية معيشة ويجعلها قابلة للتأمل والتفكير، "إذا واصلنا، نحن قراء الحقبة العلمية، قراءة أكاذيب الشعراء، أي القصص التي لا يمكن التحقق منها في الواقع المعاش، فلأننا نؤمن أن الأدب يقدم لنا شيئا إضافيا مقارنة بهذا الواقع"[11]، يستفاد من هذا القول البعد المعرفي والتواصلي الذي يحمل خطاب التخييل ويظن فيه مؤلفه النجاعة، مما يجعله معبرا عن هموم الإنسان في سياق زمني محدد، وهو ما جعل المقاربة التداولية للزمن تشدد على دور السياق وظروف التخاطب والاستدلال والقصد في تأويل العبارات اللغوية للخطاب التخييلي، "علاوة على تأكيد كون موضوع التحليل لا ينحصر في الجمل كوحدات لغوية مجردة مفصولة عن سياقات استعمالها، وإنما يمتد إلى الملفوظات، لأن الملفوظ وحدة لسانية تكلمية مرساة في وضع تخاطبي محدد. فالملفوظ نواة التحليل التداولي الذي يمكن أن يكون عبارة عن وحدة لغوية بسيطة أو متوالية مترابطة (نص أو خطاب)"[12]، وهذا يتطلب من القارئ ربط الزمن بالسياق النصي والسياق الخارجي وكل المعطيات والمعارف التي تَحفَلُ بها ذاكرته ومعارفه الموسوعية عن العالم الخارجي.

امتازت المقاربة التداولية المعرفية للزمن بعنايتها بتداخل الأزمنة في النصوص التخييلية

والإحالة الزمنية واستحضار نظرية الملاءمة-التي قال بها سبيربر وويلسون- في ترجيح السياق النصي أو السياق الخارج نصي، والسياق المعرفي لخطاب التخييل "في ترجيح التمثيل المناسب للزمن في سياق محدد"[13]، دون إغفال مقاصد المتكلمين.

تأسيسا على ما سبق، سنحاول في هذه المقاربة التداولية المعرفية دراسة الزمن من خلال تنظيم متواليات الخطاب زمنيا عبر تسلسلها بشكل تقدمي أو عبر تداخلها وتراجعها، وأيضا بوصفه "مقولة فلسفية تجسد موقفا فكريا ورؤية فنية للمؤلف وتؤثر في القارئ بشكل مباشر"[14]. من هذا المنطلق نستحضر في مقاربتنا لرواية "لا تنس ما تقول" لشعيب حليفي أهم العناصر السياقية لتأسيس تصور للزمن في اللغة انطلاقا من مفهوم الزمن النحوي، الذي يجعل الزمن متعالقا مع سياقه؛ لأن فكرة السياق تعد، إلى جانب بقية عناصر التخاطب كأحوال المستمعين ومقاصد المتكلمين، "منطلقات نظرية ومؤشرات أولية لتحليل زمن النصوص"[15]، مبتغين من وراء كل ذلك جرد مفهوم الزمن وتدفقه على وجه الدوام والاستمرارية دون توقف أو كلل، حيث يمضي جارفا معه الإنسان الذي يصارعه دون استسلام للانتصار عليه، وهو يعلم عجزه عن تحقيق ذلك؛ لأن الزمن يستمر في هزم الإنسان وسحقه ومسحه من الوجود ليتحول إلى مجرد ذكرى عابرة تلوكها الأجيال، هذا إن تمكن من تخليد نفسه بناء على شيء يستحق أن يروى ويستعاد من لدن الذاكرة التي تشيخ باستمرار، وإلا سيطوى في غياهب النسيان ليستمر الزمن وحده حقيقة لا تقهر.

1-المقاربة التداولية لرواية "لاتنس ما تقول" لشعيب حليفي:

1-1-عتبات القراءة وتوجيه دلالة النص:

أ-دلالة العنوان: التأشير على البعد الزمني.

يسهم العنوان منذ البداية في التأشير على أن رواية قيد التحليل هي رواية عن الزمن، حيث جاءت "لا" الجازمة للتعبير والتشديد على عدم النسيان في إبلاغ فعل القول، فوقع الزمن على

ذاكرة الإنسان يسرع من شيخوختها ويجعل ما مر بنا من ذكريات وأحداث شريطا باهتا وتافها في أحايين كثيرة وهي التي كانت ساعتها أحداثا فارقة غيرت مجرى حياة الكائن من مصير إل مصير، إنه خطاب من متكلم إلى متلق قصد إخباره بحكاية خاصة تستحق أن تروى وتنقل لمتلقين آخرين لجعلها خالدة في الزمن الممتد الذي يطوي الإنسان ومعه حكاياه المؤرخة لتمفصلات المعرفة وتحولات العالم ومعه القيم الإنسانية. "لاتنس ما تقول" من العبارات المسكوكة التي يحفل بها المخيال الجمعي، عبارة يرددها الواحد منا وهو يستشعر تأثير الزمن على الذاكرة؛ إذ يصيبها بالنسيان الذي يمحي من سطحها سجلات الإنسان التي تؤرخ لإنسانيته وآدميته.

1-2-صورة الغلاف: كل ديك على زمنه صياح.

تأتي صورة الغلاف متعالقة مع العنوان في إيحائهما معا بالزمن؛ إذ تنتصب صورة الديك بعرفه الأحمر القاني في أسفل غلاف الرواية الطبعة الثالثة، لقد ارتبط الديك في المخيال الجمعي بصياح الفجر وإعلان ميلاد يوم جديد بوصفه لحظة زمنية جديدة، حاثا النيام بصياحه على انتهاء زمن وميلاد آخر، حيث وبمجرد سماع صوت الديك يسارع الناس إلى الاستيقاظ، في سباق محموم مع الزمن، مخافة أن يدركهم النهار وتفوتهم كثير من الأعمال والمشاغل والانتظارات، وقديما قيل: "الفياق بكري بالذهب مشري".

لكن اللافت للانتباه أن الديك المرسوم في صورة الغلاف جاء بدون رجلين، فقد جسد الرسم صورة مكبرة لرأس ديك بنظرة تائهة ومندهشة، ويمثل اختفاء الجزء الأكبر من الديك التلاشي والضياع الذي يصيب كل الكائنات الحية في حين يمثل الرأس إحالة إلى الزمن الخالد والباقي وغلبته واستحالة تجاوزه أو هزمه، وفي السياق ذاته تؤشر خلفية الغلاف السوداء على مأساوية الزمن وغبنه، بينما يشكل اللون الأبيض الذي كتب به العنوان على الأمل والتفاؤل برمزية الحكاية في مقارعة هذا الزمن الطاغي وخلودها الذي يجذر الإنسان في التاريخ رغم

موته وفنائه، وهو ما يجعلنا نستشف أن كل ديك على زمنه صياح، وكذلك الإنسان.

1-3-ملخص الحكاية:

يفتتح السارد الرواية بتذكر شمس الدين الغنامي، وهو ممدد فوق كنبة مكتبه، زمن طفولته حين كان عمره إحدى عشرة سنة وهو يرعى بصحبة والده سليمان الغنامي الغنم ويرافقهم الديك الذي رأى، وهو غاف فوق ركبة والده، أن الذئب يسعى لخطفه. كما تذكر صديقه جعفر المسناوي وعلاقتهما القوية بحكم انتمائهما معا لمدينة "الصالحية" أو قلعة بويا صالح كما يسميانها. ومن خلال هذا التذكر يطلعنا السارد العليم على مدى تعلق شمس الدين الغنامي بطل الرواية بالأرض وأصوله البدوية ونزعته التصوفية.

في رواية لا تنس ما تقول نتتبع سيرة شمس الدين الغنامي ومعه حيوات أصدقائه الذين جمعه بهم نسغ الانتماء ومقاعد الدراسة وحب الصالحية. لقد تدرج شمس الدين الغنامي في رحلة دراسية شاقة من ضاحية الصالحية في مرحلة التعليم الابتدائي إلى الصالحية خلال مرحلة التعليم الإعدادي والثانوي، ثم إلى القلعة الكبرى حيث أتم دراسته الجامعية بمعية جعفر المسناوي صديقه الحميم؛ إذ اختار شمس الدين الغنامي التخصص في الترجمة الثلاثية: الاسبانية والانجليزية والبرتغالية، بينما تخصص صديقه جعفر المسناوي في الفلسفة حيث سينتهي به المطاف بالصالحية، التي عاد إليها بعد قضائه ثلاث سنوات سجنا نافذة بسبب انتمائه إلى أحد التنظيمات الماركسية، وفتحه هناك مكتبا للكتابة العمومية بمواصفات عصرية جعلت صيته ذائعا. في حين وجد شمس الدين الغنامي في أستاذة الأدب الاسباني صفاء الزناتي دعما قويا فربطته بها علاقة أكثر من إنسانية رغم أنها تكبره بثماني سنوات، حيث رتبت له سفرا إلى اسبانيا خلال عطلة الصيف للتدريب بإحدى الجرائد المحلية. وبعد خمس سنوات ستقترح عليه تسجيل الدكتوراه بجامعة دي لا ماشا بطليطلة بعد استقالتها من الجامعة قصد العمل بشكل رسمي بمدرسة المترجمين بطليطلة، حيث سافر بمعيتها، وتعاقد بدوره بأجر مغر مع منظمة عالمية متخصصة في إنجاز التقارير والخبرات في مجال

البيئة والنباتات والطيور والحيوانات مقرها بلندن ولكن لها فرع في مدريد خاص بإفريقيا، وتعاقد معها لأجل ترجمة التقارير التي يتوصلون بها مكتوبة باللغات الفرنسية والاسبانية والبرتغالية والعربية إلى اللغة الانجليزية، كما تعاقد مع مركز إيطالي يعنى بالسياحة في العالم العربي ليشغل منصب مستشار ومترجم للتقارير، وأمام هذه المشاغل لم ينجز شيئا في أطروحة الدكتوراه، ليقرر العودة إلى المغرب بعد اقتراح صفاء الزناتي عليه موضوع الزواج بها رغم حبه لها، لكن حبه للصالحية ووالديه جعله يفضل حب الأرض؛ تراب الصالحية، على حب المرأة؛ صفاء الزناتي.

بعد عودته إلى المغرب، سيواصل شمس الدين الغنامي العمل مع المنظمة بإشرافه على فرع تابع لها بالقلعة الكبرى، ليتزوج وينجب من فاطمة الوادي التي جاءته طالبة عمل بمكتبه، ليقسم حياته إلى زمنين بعد تقسيم الأسبوع إلى فترتين: من الأحد إلى الأربعاء بالقلعة الكبرى بمعية أسرته وعاكفا على عمله، في حين يقضي أيام الخميس والجمعة والسبت بمدينة الصالحية بمعية والديه بضيعة خارج المدينة، ومع أصدقائه وأهل بلدته حاملا همومهم ومشاغلهم، ليعود مساء السبت أو صباح الأحد إلى القلعة الكبرى.

في نهاية الرواية، بعد قضائه ليلة روحية بمعية أصدقائه يستمعون لأناشيد الفقراء ونبض الأرواح الهائمة والتائهة؛ ستتفاجأ الجماعة مع التباشير الأولى لشمس الصباح بخبر اختفاء شمس الدين الغنامي وذوبانه في الزمن.

2-التخييل وصراع الإنسان مع الزمن:

يصر الكاتب من خلال فعل الكتابة عل استعادة فترة من الحياة تبدو هاربة منه ومنفلتة من التحكم فيها، مما يجعله يحس بتهديد ضياع نسغه ووجوده الإنساني، لذلك يأتي" فعل الكتابة بوصفه قيمة وجودية، يكاد يمثل معادلا موضوعيا للحياة التي شُوهت ملامحها"[16]، ليدخل الكاتب في نزال مع الزمن الذي يتدفق بدون تمهل مهددا إياه باقتلاعه من جذوره وهويته، لكل

ذلك عمل الكاتب على تشكيل الزمن الروائي وفق حاجته النفسية، ويمكن التمثيل لذلك من خلال النظر في زمن القصة وزمن الخطاب لاستلال دلالة النص ومعها قصدية الكاتب، ممعنين النظر في مقولة الزمن بوصفه ذلك "السيل المتدفق المستمر من الماضي إلى الحاضر فالمستقبل، وفي سيلانه حركة تحمل الصيرورة والتحول والتغير، لذلك تجد آثاره في الأشياء والأمكنة والإنسان"[17]؛ أي أن الزمن يحدث فعله في الوجود، والإنسان من ضمنه، مما يحق لنا أن نتسائل عن آثار الزمن في شخوص رواية "لا تنس ما تقول"؟

2-1: زمن القصة:

نتحدث في زمن القصة عن الزمن المرجعي والمدى الزمني، ويمدنا الكاتب بمجموعة من الإشارات الدقيقة التي تدلنا بسهولة على تحديد الزمن المرجعي للرواية: "في الثلاث سنوات الجامعية، مع نظام الإجازة الجديد، انغمس شمس الدين في الدراسة وتعلم اللغات"[18]، يحيلنا هذا الملفوظ على سنة 2003 حيث أقرت وزارة التربية الوطنية اعتماد ثلاث سنوات للحصول على الإجازة بدل أربع سنوات، يؤكد السارد ذلك في توضيح أكثر متحدثا عن بطل الرواية شمس الدين الغنامي : "يقطن بمدينة القلعة الكبرى مشتغلا بها ومستقرا. جاءها من الصالحية للدراسة الجامعية، بعد ثلاث سنوات من دخول الألفية الثالثة، تزوج، وخلف بنتا وأربعة أبناء"[19]، تحليلنا الحكاية إذن إلى زمن ما بعد التعديل الجامعي لنظام الإجازة بالمغرب الذي طبق بداية من الموسم الجامعي 2004/2003.

المدى الزمني: لم يحدده الكاتب بدقة بل استغرق ما بعد توظيف شمس الدين الغنامي بمدينة القلعة الكبرى بعد حوالي خمس سنوات من الدراسة الجامعة إلى سنة 2018، إذ تبدأ القصة من تمدد شمس الدين الغنامي في مكتبه واسترجاعه لزمن طفولته صحبة والده، نقرأ في بداية الرواية بعد سرد السارد لأهم الذكريات التي استحضرها شمس الدين الغنامي : "كان متمددا بمكتبه على كنبة جانبية، بعينين مغمضتين يتذكر مبتسما تلك المشاهد التي تبدو له قريبة جدا، بعدما فك قيود الذاكرة وتركها تتسلق الموج عاليا بأياديها الخرافية التي لم تتعب

من التجديف"[20]، وإذا علمنا أن شمس الدين الغنامي درس خمس سنوات في الجامعة ليسافر إلى إسبانيا حيث سجل الدكتوراه بجامعة دي لا مانشا بطليطلة حيث قضى هناك زهاء سنة دون أن ينجز شيئا في أطروحته ليعود بعدها إلى المغرب؛ أي ست سنوات من الدراسة الجامعة التي بدأها سنة ثلاثة وألفين، ليكون تاريخ توظيفه سنة 2009، أي أن المدى الزمني للقصة يبتدئ بعد سنة 2009 إلى ما بعدها، قبل 2018.

2-2: زمن الخطاب:

يسرد الكاتب قصته باعتماد الذاكرة والحاضر مما جعل أحداث القصة متباعدة ومتنافرة من خلال دمج الأزمنة وتقريبها لإنتاج معنى الرواية ومعه قصدية الكاتب، وهنا عمل زمن الخطاب على منح تلك الأحداث انسجاما مقبولا لا يحس معه قارئ الرواية بأي تنافر رغم أن الكاتب يبدأ بالواقع ليقتحم التخييل ويعرج عن الخيال من خلال ما نقله على لسان الشخوص من أحداث لا يقبلها الواقع.

حاول الكاتب تصوير معاناة الإنسان مع الزمن وما يمارسه عليه من ضغوطات رهيبة غالبا ما تنتهي بهزم الإنسان وسحقه، ولتصوير ذلك تفنن الكاتب في الاشتغال بالزمن بكسر تراتبيته والاحتفاء بأزمنة متباعدة ومتنافرة؛ إذ ظل يعود إلى الماضي البعيد لاستحضار سنين عددا وأحداثها، كما يعمل على استشرف المستقبل. ولتوضيح ذلك سنقدم أمثلة تسعفنا في مقاربة الزمن النحوي ودوره في خلق دلالة النص.

*الترتيب الزمني:

أ-السرد الاسترجاعي:

رغم أن الكاتب ينطلق في قصته من زمن توظيفه وتمدده في مكتبه، فإنه يضغط على زر الذاكرة لاستحضار أحداث سالفة من حياته لتأثيث ذاكرته قصد تقديم رؤيته للزمن المعيش، يقول السارد مسترجعا بعض أحداث طفولته: "هائما في تلك المساحات الواسعة،

وسط صمت لا يشبه أي كلام، رفقة والده سليمان الغنامي، ما بين العصر والغروب، وهما يرعيان الغنيمات القليلة على الربوة المجاورة للغابة. يجلس شمس الدين قريبا من والده ساعة، مستمعا إلى ما يرويه من حكايات لطفل لم يتجاوز إحدى عشرة سنة"[21]، هذا الاسترجاع يفتح عين القارئ على الوضع الاجتماعي الهش لبطل القصة شمس الدين الغنامي وعلى حبه لبلدته ووالده، وهو ما يسهل من فهم نفسيته وتفسير تصرفاته، رغم تحسن حالته الاجتماعية والمادية في حاضره حيث "هو الآن مستريح، لا يساوره القلق الذي كان قبل مدة يطبق على أنفاسه، لعله وجد ضالته في رسم حياة بسيطة. يقطن بمدينة القلعة الكبرى مشتغلا بها ومستقرا"[22]، ويضيف السارد للتبئير على حياة شمس الدين الهانئة والمريحة: "جاءها من الصالحية للدراسة الجامعية، بعد ثلاث سنوات من دخول الألفية الثالثة. تزوج، وخلف بنتا وأربعة أبناء. يسكن بحي راق، داخل شقة واسعة بالطابق الثالث والأخير، من عمارة ذات معمار فرنسي"[23]. ونكاد نسأل: ما سبب معاناة شمس الدين الغنامي وهو الذي حيزت له الدنيا بمالها وبنينها؟ لفهم ذلك نلفي عودة واسترجاعا للزمن الماضي، فبعد قضائه ست سنوات في مدرسة قريته الابتدائية ونيله الشهادة الابتدائية وفرحه بذلك سيأخذه والده إلى ربوة بعيدة ليهمس له بالسر/الأمانة وهو الطفل الصغير، يقول السارد على لسان الأب سليمان الغنامي وهو يخاطب ابنه شمس الدين الغنامي: "الآن، وقد صرت رجلا، ها هي خلوة جدك الأول بويا صالح التي لا يعرفها أحد. هي لك دون غيرك، فلا تخذلنا"[24]، ليجيء وعد الابن واضحا ومسؤولا: "حينما أكبر، سأبني قبة بالربوة. هناك، أرى كل شيء، ولا يراني أحد. بهذا أسر شمس الدين لوالده قبل أن ينام. قبل يده وانصرف إلى غرفة واسعة"[25]، ولأن البدوي الحر لا يملك سوى وعده وكلمته التي هي دين في عنق الحر، فإن شمس الدين سيضحي بكل شيء؛ حب صفاء الزناتي، الدكتوراه... من أجل نصيحة والده، وحب الصالحية.

ب-السرد الاستشرافي:

يعتمد الكاتب على الاستشراف لتوجيه القارئ نحو قصديته، حيث لا يثوانى في الإعلان عن

بعض الأحداث لربط الماضي بالمستقبل ومنح قصته انسجاما يسعفه في تمرير رسالته الضمنية؛ إذ "تعتبر التطلعات Anticipations والاستشرافات الزمنية Prolepses temporelles عصب السرد الاستشرافي ووسيلته إلى تأدية وظيفته في النسق الزمني للرواية ككل"[26]، وهو ما يجعلها تنهض بوظيفة تهيء القارئ لما سيأتي لاحقا لحفز ذاكرته وتشغيل آلياته التأويلية مبكرا حتى لا يتيه عن قصدية الكاتب، وبالعودة إلى الرواية قيد التحليل فإن القارئ يظل منتظرا لحدث بناء القبة التي وعد شمس الدين والده ببنائها عند كبره، وهو ما يتحقق بالفعل، يقول السارد: "خلال ثلاثة أسابيع، شرع البناؤون، تحت إشراف سعيد، بعد كنس البئر واستعادة مائها، في بناء بيت بأحجار تم جلبها من أطراف الأرض والغابة. بيت، يبدو عاليا إذا ما قيس مع معظم بيوتات الفلاحين هناك. تمتد مساحته على سبعين مترا، يتوسطه رتاج عظيم..."[27]، وهكذا يحقق شمس الدين حلمه ووعده الذي ملأ عليه حياته وشغل ذاكرته رغم غرابته؛ إذ أثار التصميم سخرية البنائين أنفسهم، نقرأ: "انتهى البناؤون من بيت، بدا غريبا في نظرهم، وهمس كبيرهم.. هل يريد ولد بويا بناء كعبة له !"[28]. إنه الحلم بالقبض على الزمن وتثبيته من خلال تركيبه وتجسيده على شكل قبة شاهدة عليه حتى لا يضيع من الذاكرة التي تعتريها ثقوب عدة.

ومن خلال هذه الأمثلة نستنتج أن زمن الخطاب عمل على إحداث رجة في التسلسل المنطقي لأحداث القصة، وذلك لمنحها ترتيبا يتماشى مع رسالة الكاتب الضمنية التي أراد تبليغا لقارئه، حيث أسهمت هذه المفارقات الزمنية المتمثلة في الاسترجاعات والاستباقات في خرق الزمن القصصي الذي يُعد تقنية سردية لها دور في الرواية بوصفها نوعا مركبا يحتاج إلى "تنسيق زمني على مستوى الأحداث المتعالقة والمتداخلة زمنيا"[29]، وهو تداخل يفرض بالضرورة في بعض الأحيان القيام بارتدادات في الماضي البعيد لتبرير وتفسير أحداث قد تتيّه القارئ.

*إيقاع السرد:

نتحدث هنا عن التقنيات التي أدت دورا في بلورة زمن القصة بزمن الخطاب قصد تسريع

الحكي أو تبطيئه من لدن السارد ودور ذلك في إنتاج دلالة النص وتعرية قصدية الكاتب، وسنمثل لذلك بمقاطع من النص على سبيل التمثيل لا الحصر.

أ-تسريع الحكي:

*-الحذف: يلجأ السارد إلى القفز على أحداث عدة وسنين عددا من زمن القصة قصد التركيز على زمن معين، وذلك بتوقيف زمن الخطاب وتسريع زمن القصة؛ إذ تقضي هذه التقنية الزمنية "إسقاط فترة، طويلة أو قصيرة، من زمن القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث"[30]، يقول السارد: ""بعد خمس سنوات من التحصيل العلمي، اقترحت عليه صفاء تسجيل الدكتوراه بجامعة دي لا مانشا بطليطلة، وأخبرته أنها استقالت من الجامعة..."[31]، فالسارد قفز على خمس سنوات حيث لم يحدثنا عن سنتي الماستر في الجامعة التي تدوم سنتين ولو بكلمة، في حين أخبرنا فقط عن مرحلة الإجازة بتخصصه وعلاقته بصفاء الزناتي أستاذة الأدب الاسباني. اعتمد السارد في أحايين كثيرة على تقنية الحذف من أجل ضم وربط حقب متباعدة دون أن يشعر القارئ بتنافر أجزاء الخطاب، وكل هذا من أجل منح الخطاب انسجاما دلاليا وتقويل النص رسائل الكاتب الضمنية.

*:التلخيص: يعتمد السارد هنا تسريع زمن القصة أيضا ولكن بتلخيص أحداث استغرقت سنوات عدة في بضعة أسطر دون القفز عليها بالمرة كما هو الشأن مع تقنية الحذف، يقول السارد ملخصا فترة دراسة شمس الدين الابتدائية وما قبلها في المسيد والتي استغرقت حوالي ثماني سنوات: "درس ست سنوات في مدرسة ابتدائية وحيدة، دخلها بعد سنتين قضاهما بالمسيد. حفظ بعض أجزاء القرآن سماعا، وإلى جانب ذلك، كان يقضي أوقاته في رعي الغنيمات القليلة مع والده بحقلهم، خلال الصيف، أو بالغابة، قرب النهر، خلال الفصول الأخرى، والالتقاء بأصدقائه، جعفر المسناوي وسعيد الحربيلي وصلاح الشوني. نال الشهادة الابتدائية، وعاد فرحا رفقة جعفر وسعيد وصلاح. وفي نفس اليوم، وقبل الغروب بساعتين، أخرج سليمان الغنامي غنيماته، وأخذ ابنه شمس معه..."[32]، يلاحظ أن السارد تحدث عن

مرحلة مهمة من حياة شمس الدين الغنامي في مساحة خطابية صغيرة، وكذلك فعل مع المرحلة الإعدادية والثانوية وغير ذلك كثير في الرواية.

*ب-تبطيء الحكي:

*الوقف: يلجأ السارد في أحايين أخرى إلى توقيف زمن القصة وتسريع زمن الخطاب من خلال عدة مشاهد وصفية يرى أنها تسعف في إغناء دلالة النص وتوجيه القارئ إلى دلالة النص الضمنية، يقول السارد واصفا الدكتورة صفاء الزناتي: "صفاء الزناتي في السابعة والعشرين ربيعا، بيضاء، متوسطة القامة، تحب ارتداء الملابس البيضاء فقط، تطبع ملامحها مسحة حياة وأنوثة. من عائلة أندلسية عريقة شمال البلاد"[33]، هذا الوصف لم يأتي ترفا سرديا على هامش النص، بل جاء لإضاءة جانب من شخصية شمس الدين الغنامي الذي سيفضل حب الوفاء بالعهد الذي قطعه أمام ووالده بحمل هموم الصالحية بدل حب صفاء الفاتنة التي أغرم بها؛ أي أن ما يتحكم في دواخله شيء نفسي يصعب التغلب عليه، إنها سلطة الزمن وتقييدها للإنسان بقيود الماضي والرغبة في حفظ ما كان مخافة الاندثار وغضب الأجداد الذين محاهم الزمن، يقول شمس الدين في رسالة موجهة إلى صديقه جعفر المسناوي بعد قراره التخلي عن صفاء الزناتي رغم حبه الشديد لها: "أتعرف أمرا لعلك تفكر فيه مثلي، إذا كان الله ربنا العظيم يراقبنا جميعا في هذا الكون، فإن جدنا صالح يراقبني أنا وأنت بأمر من ربنا"[34]، إنها الرغبة في استمرار ديمومة الزمن ووصل ماضيه بحاضره.

*المشهد: في هذه التقنية يتساوى زمن الخطاب مع زمن القصة عبر حوار الشخوص بشكل مباشر وآني دون تدخلات السارد، نمثل لذلك بالحوار الذي دار بين جعفر المسناوي وأحمد الكردان[35]:

- أنت ترفض تدوين سيرتي الكبرى بدون مبرر معقول؟

-لا أستطيع يا أحمد الكردان أن أكتب إلا تاريخ بويا صالح، أما باقي التواريخ فهي زور وبهتان.

-الجميع كما ترى أعادوا تبييض تواريخهم، فلم لا أنا؟

يكشف هذا المشهد عن سباق أحمد الكردان المحموم مع الزمن الذي يتهدده بمحوه وتغييبه، لذا استطعف جعفر المسناوي لدرايته بالكتابة من أجل خط سيرته وضمان خلوده الرمزي في الوجود، مع العلم أنه أصدر سيرة من ثلاثة أجزاء نشرت في عدد من الجرائد، حيث خصص الجزء الأول لأجداده الذين هاجروا من الأندلس بعد اضطهادهم من لدن القشتاليين واغتصاب أملاكم في اشبيلية، والجزء الثاني استعاد فيه سيرة والده وبطولته النادرة ضد الاستعمار وضد من سولت له نفسه تقويض أسس مشروع الاستقلال الوطني، في حين تحدث الجزء الثالث عن سيرة أحمد الابن الوحيد وحياته الناجحة. لكن هذه السيرة مليئة بالمغالطات والحقائق الزائفة حسب شمس الدين الغنامي وجعفر المسناوي.

*التواتر:

في زمن الخطاب انفرد جيرار جينيت بالحديث عن التواتر السردي الذي يرتبط بتكرار بعض الأحداث من القصة في الخطاب؛ أي كيفية استحضار السارد في الخطاب لبعض الأحداث سواء تلك التي وقعت مرة واحدة، أو تلك التي تكرر حدوثها في القصة مرات متعددة (كل يوم). ويكتسي التواتر، حين الحديث عن زمن الخطاب، أهمية كبرى في إضاءة دلالة النص، وفي ذلك يقول جيرار جينيت: "إن ما أسميه التواتر السردي، أعني علاقات التواتر (أو ببساطة علاقات التكرار) بين القصة والخطاب[36]، لم يدرسه حتى الآن إلا قليلا من نقاد الرواية ومنظريها، رغم أنه جانب من الجوانب الأساسية للزمنية السردية"[37]، معتبرا أن السرد يمكنه أن "يسرد مرة واحدة ما حدث مرة واحدة، وعدة مرات ما حدث عدة مرات، وعدة مرات ما حدث مرة واحدة، ومرة واحدة ما حدث عدة مرات"[38]، وبالعودة إلى نص "لا تنس ما تقول" نجد أن التواتر يحضر من خلال:

أ-السرد المفردي: عندما يروي السارد مرة واحدة ما وقع مرة واحدة، ويتعلق هنا بالحدث الذي

تحكيه الرواية؛ أي قصة شمس الدين الغنامي ومن معه وتعلقهم المرضي بأرض الصالحية وهوسهم بالتمدد في الزمن وضمان خلودهم الرمزي.

ب-السرد التكراري/الإعادي: سرد ما وقع مرة واحدة عدة مرات، وهو حاضر في هذه الرواية؛ مثل حدث محاكمة جعفر المسناوي وحواره مع القاضي، وأيضا حدث انتقال شمس الدين وجعفر المسناوي من الصالحية إلى مدينة القلعة الكبرى من أجل الدراسة الجامعية الذي تكرر على لسان السارد :

-"جاءها من الصالحية للدراسة الجامعية، بعد ثلاث سنوات من دخول الألفية الثالثة"[39].

-"نجح شمس الدين وجعفر في شهادة البكالوريا، وانتقلا معا إلى القلعة الكبرى لمواصلة دراستهما الجامعية"[40].

-في الثلاث سنوات الجامعية، مع نظام الإجازة الجديد، انغمس شمس الدين في الدراسة وتعلم اللغات"[41].

ج-السرد التأليفي/الترددي: يحكي السارد مرة ما تكرر أكثر من مرة ، نمثل لذلك بحدث تردد شمس الدين الغنامي على الصالحية كل أسبوع، يقول السارد: "منذ زواجه، استطاع أن يقسم أسبوعه إلى فترتين لا يحيد عنهما إلا للضرورة القصوى: يقضي أيامه من الأحد إلى الأربعاء بالقلعة الكبرى التي هو مستقر بها مع عائلته، مشتغلا بعمله الذي يدبره داخل مكتبه القريب من بيته، بينما يقضي أيام الخميس والجمعة والسبت بمدينة الصالحية"[42].

أسهم التواتر في توجيه القارئ إلى دلالة النص؛ إذ شدد من خلاله على ثقافة شمس الدين الغنامي من خلال مستواه الجامعي الذي تردد في الخطاب لأكثر من مرة، وهو مستوى ثقافي لم

يبعده عن التعلق الشديد بأرض الصالحية التي يتحدر منها، وسعيه الحثيث لتخليدها في الزمن ولو ببناء قبة مثيرة لسخرية البنائين أنفسهم.

تأسيسا على ما سبق، نجح الكاتب شعيب حليفي في إنتاج دلالة الرواية باعتماده لعبة الحركة بين زمن القصة وزمن الخطاب، ولأن هذين الزمنين حاضران في كل رواية، فإن مهارة الكاتب الفنية تظهر في"قدرته على نسج الحركة بينهما. بحيث تنتج اللعبة الفنية بين هذين الزمنين أو في حركة العلاقة بينهما، دلالاتها"[43]؛ أي بتناغم الدلالات التي ينتجها الخطاب مع دلالات القصة، من قبيل تناغمها مع "دلالات الحوار بين الشخصيات أو دلالات منطوقها فتظهر حركة العلاقة بين الزمنين كمستوى آخر لدلالة اللغة التي ينموان بها"[44] يسعفنا هذا الرصد التقني لتعامل الكاتب مع زمن الخطاب في الانطلاق منه لكشف علاقته النفسية بالزمن وأبعاده الدلالية، فهو يوظف سارد عليم يزواج بين الزمنين عبر تداخل فني أسهم في إنتاج دلالة النص.

3-الزمن وإنتاج المعنى: الزمن والإنسان وصراع غالب ومغلوب

تبين لنا من خلال دراسة زمن الخطاب انتقائية الكاتب لمحطات وأحداث فارقة في مسار شخصية شمس الدين الغنامي وباقي الشخوص الأخرى (جعفر المسناوي، أحمد الكردان، صلاح الشوني، صفاء الزناتي...) والشيء ذاته ينسحب على أرض الصالحية، وذلك بخرق النظام المألوف للزمن بإعاده تشكيله وفق الاحتياجات الذاتية والنفسية للسارد الذي يتمترس خلفه الكاتب شعيب حليفي ونجاحه في نسج علاقة جدلية بين زمن القصة وزمن الخطاب؛ علاقة أنتجت وولدت دلالة النص المعبرة عن قصدية الكاتب. لقد عملت الرواية على سرد الزمن كما ينطبع في دواخل الشخوص الشيء الذي جعل نظرتها للعالم تتشكل انطلاقا مما يمارسه عليها من توتر وضغط عال، يقول السارد: "الحياة ليست ما يراه ولكنها متفرقات في خزائن الزمن والروح، تحتاج من يراها ويحس بها"[45]، لتغدو الحياة وفق هذا المنطق خليطا يحس معه الإنسان بانفلاتها من قبضته وهو ما يترك في دواخله حيرة وقلقا وأسئلة حارقة عن

الذات والوجود والزمن.

ولأن حياة الإنسان مقدرة بزمن معين غير خاضع للإنسان حتى يتمكن من ترتيبه وفق أولوياته وحاجاته بل هو من يخضع لدفقه وجريانه، فإن شمس الدين الغنامي تتملكه حاجة نفسية ملحة في النيل من الزمن، وإعادة تشكيله بما يضمن استمرار نسغه ونسغ مدينة الصالحية في ديمومة الزمن الذي يهزم الإنسان مهما حقق من انتصارات والتي تظل غير ذات جدوى مقارنة بفعل الزمن في الإنسان، نقرأ في الرواية: "يوهم الزمن أهل الصالحية أنه كان نائما، ثم استفاق على صخبهم في مظاهرات تلاشت أصواتها، ولم يتبق منها سوى انتصارات صغيرة، وخسارات جانبية لا بد منها"[46]، فالمظاهرة هنا دليل على الاحتجاج والرفض والصراخ بكل ما أوتي هذا الإنسان من قوة في وجه جبروت الزمن، لكنه صراخ ما يلبث أن يضيع في الفراغ؛ قل إن شئت صيحة في بحر مضطرب. ماذا يتبقى للإنسان إذن؟

يجد الإنسان نفسه مرغما على تغيير تكتيكه في مواجهة الزمن، وذلك بتسجيل الحضور والامتداد الرمزي في الذاكرة والتأريخ لحياته، وسيرة المكان/الصالحية في حياة الأجيال القادمة عبر فعل التذكر واسترجاع الزمن الماضي، وإبعاد هواجس النسيان المرعب الذي يمحي كل شيء من الذاكرة وبالتالي من الوجود، يقول السارد: "بالصالحية، الزمن تراه العين في كل لحظة يزحف بلا صوت، يجر خلفه ضحاياه إلى خزائنه المنهوبة. ورغم كل شيء، فإن الزمن دوما يأتي متنكرا في لبوس وهيئات وتفاصيل غريبة، لذلك، لا يشبه اليوم باقي الأيام، رغم أن الناس يعيشون تكرارا غريبا في الحياة والكلام والفعل والموت"[47]، ليضيف السارد في ما يشبه تحريض الإنسان على مواجهة الزمن بالضغط على زر الذاكرة والتأريخ لأحداث الأرض والإنسان لحفظ الهوية الإنسانية، والخصوصية الفكرية والثقافية، حتى لا تضيع الذاكرة، ومعها الأجيال القادمة وتصبح معها بلا هوية ولا ذاكرة، وفاقدة لكل مميزاتها الروحية والإنسانية: "مما أربك الزمن وهو يرى أهل الصالحية يحيون كما لو أنهم يلعبون. يولدون بلا ذاكرة كأنهم أبناء ما بعد الطوفان، وربما ما قبله، وربما أبناء الطوفان المبللون دائما بماء لا

تزول سطوته عن النفوس. ثم يجري الزمن بهم في دورات تفقدهم كل توازن فتمتلئ الذاكرة بأصوات الرياح"[48]، هذا الزمن المرعب يدفع شمس الدين الغنامي، بطل رواية "لا تنس ما تقول"، إلى الانشطار الذاتي؛ إذ قسم حياته إلى زمنين؛ زمن يقضيه بالقلعة الكبرى من أجل العمل والأسرة، وزمن يقضيه بالصالحية من أجل الحفاظ على النسغ وتجذير سلالة أبناء "بويا صالح" في الزمن الذي يريده أبديا؛ حياة خالدة تستعيد النسغ الإنساني الأول الصافي وتلحقه بالآتي من سيرة الصالحية وسيرة أبنائها البررة، بيد أن ذلك لا يمكن في رأي السارد؛ إذ يرى أن "الحياة كما يدبر فصولها الزمن لا تدوم"[49]، هذه الحقيقة ستبدأ في نخر دواخل شمس الدين الغنامي رغم إصراره على مصارعة الزمن المتدفق، حيث بدأ العجز والإحساس بالهزيمة يتسرب إلى نفسيته القلقة والحائرة والباحثة عن أجوبة مستعصية لأسئلة وجودية ملتهبة، نقرأ في الرواية:

"هل نعيش الزمن، أم هو من يعتاش على أيامنا.. يقتات منها ولما تنفذ يقتلنا؟

يقول في نفسه التي باتت متوثبة ومستسلمة في آن. رغم ذلك، يوهمنا بما يشعر به. يحيا زمنه وزمن سلالته بحقائقه وخرافاته، وقد اختزله في ثلاثة أيام، يراها في كل مرة بطريقة ما. الثلاثة أيام في الصالحية، نعمة الحياة في إيقاع يعلو ويهبط، يصمت ويتوتر"[50]، إنه إعلان بفشل الذات في نزال الزمن.

على هذه الحقيقة، يفاجأ كل من جعفر المسناوي وشمس الدين الغنامي بتأثير الزمن على الإنسان وتغيير حياتهم من حال إلى حال، فلا حقيقة تدوم عدا حقيقة الزمن، فبعدما كانا آمنين منعمين بفتوة وطموح وغرور سيفاجآن برجة الزمن العنيفة وما تحدثه من تغيرات سيكولوجية وفزيويلوجية... على الإنسان، يقول السارد: "لاحظ جعفر المسناوي، بكثير من الأس، وهو ينظر إلى الوجوه، بأن الناس يشيخون بسرعة غريبة، فيذهب ماء وجوههم ويشحبون وتغرق عيونهم في بئر مهجورة، تنظر في كل اتجاه دون تركيز... كأنهم اكتشفوا أمرا يخشون التصريح به أو ينتظرون مصيرا نُبِّئوا به أخيرا"[51]، هذه الحقيقة سينتهي إليها صديقة

شمس الدين الغنامي ذاته، يقول السارد متحدثا عن شمس الدين الغنامي: "طلب كعادته قهوة سوداء، وبعد رشفتين راح يتأمل، من خلف الزجاج، المارة جيئة وذهابا. عالم متناقض لكنه في العمق متشابه إلى حد البكاء. قفز إلى ذهنه ما قاله جعفر عن وجوه الناس التي تحولت إلى أشباح. وعن أجساد بلا دماء، يملأها خوف مجهول.. لعلها أشبه بلحظة ما قبيل الطوفان بثوان معدودات. بدوره، امتلأ سهوا وشحوبا. برد كوب القهوة الثاني مثل جسده"[52]، هذه الهزة العنيفة التي أحدثها الزمن في كيان الناس وكيان شمس الدين الغنامي ستعجل باستسلامه الفظيع لأحداث الزمن، لينتهي به المطاف مستسلما لا يملك شيئا سوى الإخفاق والانكسار؛ فكان مآله الاختفاء والتبخر في الزمن، نقرأ في نهاية الرواية: "تسللتِ الخيوط الأولى لشمس ما بُعيد الفجر إلى الخيمة، تتلمس العيون النائمة فتلثمها. قام جعفر مذعورا يبحث عن شمس الدين فلم يجده. بحث خارج الخيمة وفي القبة ثم عاد يجري وصاح في النائمين المرتمين، والذين قاموا هلعين: أيها الفقراء المسالمون. أيها الرفاق.. لا تنسوا ما تقولوا. لقد اختفى شمس الدين الصالحي وعاد إلى الرحم الأول"[53]، هكذا ينتهي شمس الدين الغنامي إلى موت رمزي يحمل دلالات كثيرة أقواها أن صراع الإنسان والزمن هو صراع غير متكافئ ولا ينتهي، وإن انتهي فإنه ينتهي بنتيجة زمن غالب وإنسان مغلوب.

4- على سبيل الختم:

تمكن الروائي شعيب حليفي من خلال روايته "لا تنس ما تقول" في تمثيل صراع الإنسان مع الزمن عبر اللغة التي تشتغل بالخيال والتخييل، لذلك يسيطر الخوف والاضطراب والقلق... وغير ذلك من المشاعر النفسية المقلقة بسبب إحساس شخوص الرواية بالزمن ووعيها بجريانه الأبدي. لقد حاول الكاتب شعيب حليفي خلخلة تمثلاتنا، بوصفنا قراء محتملين لروايته، عن المنطق الذي نحوز به الزمن ونفهمه به؛ إذ عمل على إلباس سرده القصصي لباسا تاريخيا كما منح سرده التاريخي طابعا خياليا من أجل توليد ما يسميه بول ريكور بالزمان الإنساني الذي هو الزمان المروي[54]، كاشفا عن نظرته للعلاقة الجدلية التي تربط الإنسان

بالزمن الذي يعد عنصرا من عناصر الوجود قصد التعبير، من خلال شخوص الرواية، عن تجربة الإنسان مع الزمن وكيفية إدراكه له والوعي به.

يتردد مفهوم الزمن بكثرة في الرواية سواء من لدن السارد أو باقي الشخوص، مما يجعله مفهوما مركزيا يتجاوز كونه مجرد مدى زمني للقصة المحكية (البداية-النهاية)، أو زمنا مرجعيا، إلى كونه رؤية إنسانية وموقفا وجوديا؛ جعل منه الكاتب زمنا إنسانيا كي يسهم في بلورة وعي الإنسان بذاته وعالمه انطلاقا من صراعه النفسي معه، حيث الأزمنة تتوالد من أجل الإنسان باستعادة ماضيه وانتشاله من دائرة النسيان لفهم حاضره واستشراف مستقبله. إنها رواية تحاول قدر الإمكان تفكيك شفرات الزمن وحيرة الإنسان الأبدية أمام أسئلة حارقة يضعها الزمن أمام الإنسان.

الهوامش:

[1]-مصطفى منصوري: سرديات جيرار جينيت في النقد العربي الحديث، لرؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2015، ص: 286.

[2]- آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدسن دغموس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، نشر وتوزيع دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 2003، ص: 264.

[3]- آن روبول وجاك موشلار: تداولية الخطاب، من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، ترجمة وتعليق لحسن بوتكلاي، كنوز المعرفة الطبعة الأولى 1441ه/2020م .ص: 212.

[4]- حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة طبعة 1994، ص: 242.

[5]- امحمد الملاخ: العلاقات الزمنية في الخطاب: نحو منظور تداولي معرفي، البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 5-2014. ص:88.

[6]-نفسه، ص:88.

[7]- محمد غليمو:مناهج تحليل الخطاب: الأسس والخصائص البلاغة وتحليل الخطاب، العدد2013،2 .ص:63.

[8]- فسه ص: 64.

[9] -Elfie Poulain : approche pragmatique de la littérature , ed l'harmattan, 2006 , p :24.

[10]- آن روبول-جاك موشلار: تداولية الخطاب، من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، ترجمة وتعليق لحسن بوتكلاي، كنوز المعرفة الطبعة الأولى 1441ه/2020م، ص: 171.

[11] -ibid, p :45.

[12]-امحمد الملاخ: العلاقات الزمنية في الخطاب: نحو منظور تداولي معرفي، مرجع مذكور، ص: 86.

[13]-المرجع نفسه، ص: 87.

[14]-إبراهيم عمري: خطاب الرواية المغاربية، منشورات شعبى الآداب واللغات والتواصل، الإصدار5، الكلية المتعددة التخصصات بتازة، طبعة 2014، مطبعة أنفو برانت، فاس، ص: 48.

[15]-المرجع نفسه، ص: 49.

[16]-سمير الخليل: تقويل النص: تفكيك لشفرات النصوص الشعرية والسردية والنقدية،دار غيداء للنشر والتوزيع ،عمان، الطبعة الأولى 1437ه/2016م ص:43.

[17]-مها القصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت الطبعة1-2004، ص: 11.

[18]--شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، منشورات القلم المغربي، الطبعة الثالثة 2020، الدارالبيضاء، ص: 23.

[19]-شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، منشورات القلم المغربي، الطبعة الثالثة 2020، الدارالبيضاء، ص: 11.

[20]- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 08.

[21]-شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 07.

[22]- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 11.

[23]-المرجع نفسه.

[24]-شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 17.

[25]-شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 17.

[26]- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي. المركز الثقافي العربي،الطبعة الأولى 1990.ص:132.

[27]- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 77.

[28]-المرجع نفسه، ص: 77.

[29]-سعيد جبار: الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات، شركة النشر والتوزيع- المدارس، الدارالبيضاء، الطبعة الأولى 1424ه/2004م، ص: 120.

[30]- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، مرجع مذكور، ص: 156.

[31]-- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 28.

[32]- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 13.

[33]- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 24.

[34]- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 30.

[35]- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 143.

[36]- ترجمنا مصطلحي récit et diégèse عند "جيرار جينيت" بمصطلحي القصة والخطاب لأن هناك من ترجم المصطلحين بأسماء أخرى، وذلك لتوحيد المفاهيم الواردة في هذا المقال.

[37]- Gérard Genette : Figures III, éditions du seuil, paris 1972, p : 145.

[38] -ibid , p : 146.

[39]- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 11.

[40]- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 23.

[41]-المرجع نفسه، ص: 23.

[42]- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 11.

[43]- يمنى العيد: في معرفة النص، دراسات في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق بيروت، الطبعة الثانية 1405هـ/1984م، ص: 234.

[44]-المرجع نفسه، ص: 234.

[45]-المرجع نفسه، ص: 10.

[46]- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 57.

[47]- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 111.

[48]- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 111.

[49]- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 66.

[50]-شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 74.

[51]- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 112.

[52]- شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 113.

[53]-شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، مرجع مذكور، ص: 175.

[54]-بول ريكور: الزمان والسرد: الزمن المروي، الجزء الثالث، ترجمة سعيد الغنامي، دار الكتاب الجديد المتحدة ، الطبعة الأولى 2006، ص: 149.

قائمة المصادر و المراجع:

- حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة طبعة 1994.

-مصطفى منصوري: سرديات جيرار جينيت في النقد العربي الحديث، لرؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2015

- آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدسن دغموس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، نشر وتوزيع دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 2003.

- آن روبول وجاك موشلار: تداولية الخطاب، من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، ترجمة وتعليق لحسن بوتكلاي، كنوز المعرفة الطبعة الأولى 1441هـ/2020م .

- محمد غليمو:مناهج تحليل الخطاب: الأسس والخصائص البلاغة وتحليل الخطاب، العدد2013،2 .

امحمد الملاخ: العلاقات الزمنية في الخطاب: نحو منظور تداولي معرفي، البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 5-2014.

-إبراهيم عمري: خطاب الرواية المغاربية، منشورات شعبى الآداب واللغات والتواصل، الإصدار5، الكلية المتعددة التخصصات بتازة، طبعة 2014، مطبعة أنفو برانت، فاس.

شعيب حليفي: لا تنس ما تقول، منشورات القلم المغربي، الطبعة الثالثة 2020، الدارالبيضاء.

- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي. المركز الثقافي العربي،الطبعة الأولى 1990.

-سعيد جبار: الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات، شركة النشر والتوزيع- المدارس، الدارالبيضاء، الطبعة الأولى 1424هـ/2004م.

- يمنى العيد: في معرفة النص، دراسات في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق بيروت، الطبعة الثانية 1405هـ/1984م.

بول ريكور: الزمان والسرد: الزمن المروي، الجزء الثالث، ترجمة سعيد الغنامي، دار الكتاب الجديد المتحدة ، الطبعة الأولى 2006.

-Elfie Poulain : approche pragmatique de la littérature , ed l'harmattan, 2006.

- Gérard Genette : Figures III, éditions du seuil, paris 1972, p : 145.